

الواقعية الاشتراكية رواية الأم لماكسيم غوركي نموذجاً:

1. مكسيم غوركي (1868-1936):¹

ولد لأسرة عاملة، مات أبوه وهو صغير، اشتغل في أعمال يدوية عديدة شاقة، وكان يعمل ليل نهار كان مواظباً على القراءة، تجول غوركي في بلدان أوروبية كثيرة، و استطاع نشر أول عمل أدبي له سنة 1892.

أثناء تجوله التقى غوركي الحركات الثورية، وقد كان لهذا اللقاء تأثير في أدبه وفكره، وكان الحادث الأهم في حياته هو احتكاكه بالمنظمات الاشتراكية عام 1902م، وكان بيان ذلك هو حلول العامل المناضل الواعي في قصصه بدل اللامسؤول.

فرغ من تأليف "الأم" سنة 1906 بعدها سافر إلى أمريكا لجمع التبرعات للثورة، ثم أنشأ مدرسة ثورية كان ستالين أحد تلاميذها وحين تفجرت الثورة 1917 أعلن تأييده للبلاشفة ثم بعدها حدث خلاف بينه وبين انتهى إلى رحيله إلى ألمانيا ثم استدعى مرة أخرى لبلده سنة 1928. من أهم أعماله:

— ستة وعشرون رجلاً و فتاة 1926.

— مولد إستان 1912 .

— الطبقة الوسطى 1912.

— الأعماق الدنيا 1902.

طفولتي 1913- في العالم 1915- أيامي في الجامعة 1923.

¹ - ينظر: حسام الخطيب، محاضرات في تطور الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاتها التعددية 1974، مديرية الكتب الجامعية من ص 311/306.

2. رواية الأم:

ألفت سنة 1906، تروي قصة العامل الثوري "بافل" الذي يعيش مع والدته المسنة و يشارك في النشاط الثوري لجماعة ما الاشتراكيين تعمل في بيئة أحد المعامل ،يلقى القبض على الابن "بافل" و ينفى إلى سيبيريا بتهمة الدعوة إلى الإضراب ، و قيادة موكب أول أيار ،وهنا يحدث الانقلاب العظيم في شخصية الأم ، وتحل محل ابنها في الحلقة الثورية ،و تتولى مهمة تهريب المنشورات الاشتراكية إلى داخل العمل ،وقد اقتنعت في بادئ الأمر أن القيام بهذا العمل سوف يضلل الشرطة و يصرفهم عن إثبات تهمة العمل السري على ولدها ،ولكنها بالتدريج تنخرط في العمل الثوري وتصبح مهمتها تزويد الناس بالصحف الثورية ، و أصبح ذلك عمليا ،فهي تتنكر عدة مرات كل شهر في ثياب راهبة ، أو بائعة خردوات ، أو برجوازية ميسورة الحال ، وكانت دائما في المراكب أو الفنادق ،والحانات هي تلك المرأة التي تتوجه بالكلمة الأولى إلى الغرباء ...تقع في أيدي الشرطة فيوسعونها ضربا ، ولكنها تصر على التحدي و تلقي حتفها تحت التعذيب.

الواقع أن رواية الأم تبدو تطبيقا منهجيا للواقعية الاشتراكية هدفها الأساسي خلق نموذج فني جديد لشخصية البروليتارية الإيجابية ،وقد أكد عليها غوركي من خلال :

- أن تصرف الأم الثوري هو تصرف استثنائي، وقد كانت الأولى التي عبدت طريق ابنها ،أما غيرها من الأمهات و الآباء فكانوا يحجمون على تأييد الثوريين و الالتحاق بهم.

-حرص على خلق العوامل المساعدة للتطور الذي طرأ على الأم ،وقلب موقفها من مجرد التعاطف العفوي مع الثوار وفاء لذكرى ابنها و أملا في إنقاذها إلى مرتبة الوعي الثوري المتصف بالتحدي و التصميم ، فمن ناحية علاقاتها ضمن الأسرة ترى أن زوجها كان فظا غليظا و كان يدعوها "الكلبة" ، وكان يضربها ، و قد توفي هذا الزوج مبكرا مما ساعدها على التحرر من الماضي و الالتحاق العاطفي بابنها الثائر حتى صار عالمه عالمها، وكان يعني انتهاء هذا العالم عندها.

-ساعدها على اختيار احتمال الانتفاضة بدلا من احتمال الموت البطيء لأنه أتاح لها ممارسة تهريب المنشورات أولا بدافع عاطفي غير ثوري ثم جعل الممارسة المتدرجة تنقلها إلى درجات متطورة من الوعي الثوري.

-استطاع غوركي أن يخلق من هذه الشخصية الاستثنائية نموذجا عميقا لتفتح وجدان الإنسان الروسي على الثورة، وأظهر بشكل ملموس كيف استطاعت الحركة العالمية الثورية أن تهز الإنسان وتعطيه معنى جديدا للتحدي والنضال.

-امتألت على الرغم من ذلك صفات الرواية بواقع مأساوي يصور الإطار الاجتماعي الذي كانت تتحرك ضمنه الثورة.

-تتميز كذلك رواية الأم بالبساطة المفعمة بالبراءة و الوضوح الذي يواكب الإيديولوجيا و الصدق المتناهي في تصوير الواقع المعين.